الموقف الراهن واحتمالاته في الساحة الأردنية

■ مهمات حركة المقاومة امام تحركات الرجعية العميلة المتواطئة مع صمت انظمة الحل السلمي

بقلم : بسام زايد

* ان واجب فروع حركة المقاومة خارج فلسطين والاردن تجاوز محطات البقاء والدفاع عن النفس . ان واجب هذه الفروع ان تضع المحطات التي تضمن بنورة توريتها ، والافادة من دروس المسيرة السابقة وريادة فعاليتها وقوتها ، والتعويض النسبي عن الخسائر التي لحقت بجسم المقاومة في الفترة الاخيرة والاسناد الفعلي لحركة الجماهير الفلسطينية المركزية في فلسطين المحتلة والاردن.

ان الحديث عما جرى ويجري في الاردن لايمكن فصله باي حال عما يجري على طول الوطن العربي ، وما يجري في الوطن العربي لا يمكن فصله عن الصراع الدائر في هذا العالم بين القوى المستغلة والقوى المستغلة . فليس صدفة ان يضرب النظام الرجعي في الاردن قوى حركة المقاومة الفلسطينية وليس صدفة ان تضرب القوى التقدمية في السودان وليس صدفة ان تهاجم الجبهة الشعبية على انها تنظيم عميل . فالعالم وما يدور فيه خاضع لقوانين تسيره وتسير تطوره وتطور مجتمعاته وليس بين هذه القوانين العلمية مكان للصدف .

كذلك فانه ليس من قبيل الصدف ان تكون احتمالات التراجع داخل قيادة حركة المقاومة احتمالات واردة بشكل او باخر ، وليس من الصدف ان تقف احيانا مشدوهة وعاجزة امام تحرك الخصم السريع ونتابع الاحداث ، فكل هذا ايضا هو نتاج لمنهج في التفكير لا ينظر النظرة العلمية للامور ولا يحاكمها بمقتضى القوانين التي تخضع لها التطورات في هذا العالم .

المواطن العربي المشدوه والمشلول

منذ ايلول والانسان العربي يقف مشدوها امام المنطق الغريب الذي تسير عليه الاحداث في المنطقة العربية .

وبوسعنا ملاحقة السمة الاولى للمرحلة كما يلي:

لقد استعاد النظام الرجعي الاردني قواه التي كان قد فقدها في حزيران ٦٧ واصبح استناده على قدرات الامبريالية وخبرتها وطاقاتها اكثر من اي وقت مضى ، ونفذ مخطط الامبريالية الدقيق بشن الحملات النفسية على الجماهير وتعبئة الجنود بشكل حاقد على المقاومة وتعبئة جماهير الضفة الشرقية بالنعرة الاقليمية . كل هذا مكن النظام الرجعي العميل من استعادة زمام المبادرة في معركته ضد حركة المقاومة .

لقد كان لاستعادة النظام الرجعي زمام المبادرة في الاردن وقع عنيف على المواطن العربي الذي صور له اعلام المقاومة الفلسطينية انها القادرة على منع استلام النظام لزمام المبادرة ، وان المطلوب منه كمواطن عربي ان يساند حركة المقاومة كاي « لجنة انصار » في اوروبا واميركا.

كان المواطن العربي خلال مجازر ايلول وبعدها نفس مواطن هزيمة الخامس من حزيران ، المستمع للمذياع والمراقب بغضب ، ولكن غير القادر على التصدي . والسبب الرئيسي هو ان قيادة حركة المقاومة الفلسطينية ابقت مشاركة الجماهير العربية ضمن نطاق لجان المساندة ولم تضمها لا هي ولا الاحزاب العربية ضمن اطارها التنظيمي الذي يعطي حركة المقاومة الفلسطينية بعدها العربي تنظيميا وفكريا .

تابعت الاحداث بسرعة هائلة فاقت قدرة المواطن العربي على المتابعة الواضحة وساعدت قيادة حركة المقاومة في زيادة الغموض لدى الجماهير العربية بالتزامها الصمت او بتخبطها وعدم وضوح رؤيتها السياسية .

السمة الثانية

والسمة الهامة الثانية للمرحلة التي يمر بها كفاح الشعب العربي من اجل التحرر هي موقف البرجوازية الصغيرة الحاكمة من حركة المقاومة والقوى التقدمية في الاقطار التي تحكمها .

فقبل قبولها لـ « مبادرة روجرز » كانت انظمة البرجوازية الصغيرة تقف موقفا مؤيدا وداعما لحركة المقاومة الفلسطينية بشكل عام (رغم ان هذا الدعم كان يقتصر على بعض التنظيمات فقط) وكان يسار حركة المقاومة ينظر لعلاقاته بهذه الانظمة الوطنية من خلال قانون الصراع والتحالف الذي يحدد عليها ان هذه الانظمة تعيش حالة معينة من التناقض مع الامبريالية والصهيونية وبالتالي فهنالك ارض مشتركة تجمع هذه الانظمة وحركة المقاومة الفلسطينية يمكن ان ينتج عنها تحالف وبرنامج عمل ادنى يلتقي عليه الطرفان ، الا ان ذلك لا يلغي وجود تناقض بين هذه الانظمة ويسار حركة المقاومة ناتج عن الطبيعة الفكرية والطبقية لهذه الانظمة التي لا بد وان تفرز برامج تعبر عن فكرها وطبقتها مما يختلف مع برامج يسار حركة المقاومة التي هي الفرازات لهويتها الطبقية والفكرية .

الا ان قبول الانظمة الوطنية بمشروع روجرز والسعي حثيثا من اجل الحل السلمي ووقفها اطلاق النار الذي اصبح شبه دائم وموقفها الصامت المريب ازاء هجمة رجعيي الاردن على حركة المقاومة الفلسطينية .

كل هذا جعل المواطن العربي يقف موقف المتسائل والمشدوه وساعد ابقاء هذا الغموض لديه موقف قيادة حركة المقاومة التي صمتت وابتعدت عن الجماهير .

والان يقف الانسان العربي مشدوها عندما يرى قيادات البرجوازية الصغيرة العربية ، الحاكمة تقف نفس موقف الرجعيات العربية ، فهذه الانظمة التي وقفت في البداية موقف المؤيد والداعم لحركة المقاومة اكتشفت عجزها ومجز برامجها خلال السنوات القليلة من عمر حركة المقاومة والتي بنت خلالها جماهيريتها واسعة عبرت عن نفسها تنظيميا وتجسيدا لمبدأ حرب التحرير الشعبية . هذا المبدأ الذي لا يمكن للبرجوازية الصغيرة الحاكمة ان تقبله لانها لن تستطيع ان تضع البرامج الكفيلة بترجمة هذا المبدأ عمليا ، حتى لو رفعت الشعار .

ان هذا العجز جعل الانظمة البرجوازية الصغيرة تقف موقف الرجعيات العربية الداعية للابقاء على حركة المقاومة « الشريفة » والموافقة ـ عند احتوائها ـ على السير في مخططات مشاريع الاستسلام .

السمة الثالثة للمرحلة

ان معارك ايلول كانت بداية الهجوم الذي استهدف حركة المقاومة الفلسطينية ، والذي امتد الى بقية اقطار الوطن العربي واتخذ شكل هجوم فاشي على التقدميين والديمقراطيين بشكل عام وعلى اليسار العربي بشكل خاص . اليسار الذي يشكل القوة الكامنة والقادرة على النهوض والانطلاق من اجل حماية حركة التحرر الوطني العربي وضمان استمرارها .

ان المد اليميني (الوطني والرجعي) تراقق بانتعاش غريب في الاساليب الفاشية ، هذه الاساليب التي استعملت باقصى درجاتها مما جعل الجو العام الذي يحيط بالجماهير العربية ونضالها يبدو وكانه جو سنين الاضطهاد في الخمسينات .

الموقف العربي الرسمي من حركة المقاومة الفلسطينية

ان الموقف الرسمي العربي من حركة المقاومة الفلسطينية يعبر عن نفسه بتيارين اخذا شكلا متبلورا وواضحا في الاونة الاخيرة . يجمع هذين التيارين موقف علني يصر على ان هنالك فدائي شريف وفدائي غير شريف وهو نفس موقف النظام الرجعي في الاردن الذي برر من خلاله حملات ايلول وما بعد ايلول .

١ ـ التيار الاول :

التيار المخطط لتصفية حركة المقاومة نهائيا وهذا التيار مرتبط ارتباطا كليا بالمعسكر الامبريالي الصهيوني جند ويجند كل امكانياته مدعوما بكل امكانيات ومقدرات المعسكر الامبريالي تفوق آلة العسكرية .

ان هذا التيار الذي يقوده النظام الرجعي في الاردن من ناحية يحاول خداع الجماهير باستعماله الالمنطق القائل بان هنالك فدائي « شريف » وفدائي « غير شريف » وانه مع العمل الفدائي الذي « يحترم » القانون في الاردن .

ومن ناحية اخرى يجند كل امكانياته العسكرية والاقتصادية والاعلامية من اجل تصفية حركة المقاومة الفلسطينية بكل اطرافها (الفداء « الحقيقي » و « غير الحقيقي » على حد سواء !)

٢ ـ التيار الثاني :

اما التيار الثاني فهو التيار الداعي للابقاء على حركة المقاومة شريطة احتضانها واحتوائها بشكل يفقدها حرية الحركة والقدرة على اتخاذ مواقفها المستقلة .

ان هذا التيار يهدف لاحتواء حركة المقاومة من اجل ضمها الى ركب رحلة الاستسلام كممثل للشعب الفلسطيني (اذ من يستطيع ادعاء تمثيل الشعب الفلسطيني سوى حركة المقاومة الفلسطينية ؟) ان هذا التيار والذي تقوده انظمة البرجوازية الصغيرة الساعين للحل السلمي يعلم تمام العلم ان حركة المقاومة الفلسطينية لا يمكن السيطرة عليها بوجود اليسار الفلسطيني تماما كما علم ان الخطر الوحيد على فشل مخططاته من اجل الحل السلمي كان يكمن في القوى التقدمية واليسارية في الاقطار العربية مما جعله يجند امكانياته ويكشف عن جلاوزه العاشية لضرب الحركة التقدمية في كل الاقطار العربية التي يحكمها .

لذا فالخطوة التحضيرية الضرورية لاحتواء حركة المقاومة وشدها الى ركاب رحلة الاستسلام هي القضاء على اليسار الفلسطيني المنظم . وما الحملات الاخيرة التي شنت على الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والتي تتهمها « بالعمالة » و « التخريب » متناسين كل تاريخ الجبهة الشعبية المشرف في ميدان النضال والتصدي لمعسكر اعداء الجماهير العربية الا هذه الخطوات التمهيدية من اجل تصفية يسار حركة المقاومة و « تنظيف » حركة المقاومة من الجناح « غير الشريف » ، كما ان التخطيط لضرب الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين هو جزء من حملة عامة من اجل القضاء على اليسار، في الوطن العربي فان الحملة للقضاء على اليسار هي جزء من اتفاقية عامة ترضي الولايات المتحدة الاميركية على حساب حركة التحرر الوطني العربية ، ان هذا المخطط هو عودة لشعار « تحييد الولايات المتحدة الاميركية » المضلل للجماهير والمدجل عليها .

لقد سقط هذا الشعار منذ اعوام بعد ان ثبت للجماهير العربية على المستوى العملي كما هو على المستوى النظري ان الولايات المتحدة زعيمة المعسكر الامبريالي ، هي طرف اساسي من اطراف معسكر اعداء الجماهير العربية ، تماما كما هي عدوة تحرر الشعوب وتقدمها .

ان الولايات المتحدة الاميركية واسرائيل هما المستفيدتان من تذبذب انظمة البرجوازية الصغيرة . وما الفواتير التي تسددها الانظمة الرجعية والبرجوازية الصغيرة (محاولات تصفية حركة المقاومة ـ المجازر ضد اليسار ـ اساءة العلاقات مع الاتحاد السوفياتي) الا مقدمة لفرض الاستسلام على الجماهير العربية عبر الانظمة التي تتحكم بها .

ماذا يجري في الاردن ؟

ان النظام الرجعي العميل في الاردن ، الذي يقود التيار الاول الذي تكلمنا عنه والجاهد لتصفية حركة المقاومة الفلسطينية يعيش ضائقة اقتصادية خانقة جعلته يرسم استراتيجيته بمساعدة مهندسي وكالة المخابرات المركزية الاميركية من اجل تحقيق هدفين : الاول تصفية حركة المقاومة باستعمال القوة العسكرية باقصى طاقتها من ناحية وخنق كل ردود الفعل العربية الرسمية من ناحية اخرى (ناهيك عن صمت الجماهير العربية المخنوق من قبل انظمتها) .

والثاني فك الضائقة الاقتصادية عن طريق استعادة المونة العربية رغم مخطط التصفية الذي يسير فيه ، وعن طريق الدولارات الاميركية التي تصب في الاردن من مصادر المانية غربية واميركية ، وذلك كي لا تدفعه القطيعة الجزئية الى عزلة اقتصادية وسياسية لا تخدم مخططاته.

ان الموقف المتذبذب للانظمة البرجوازية الصغيرة العسكرية جعل النظام الاردني يزيد من فاشيته وتحديه لشعور الجماهير العربية ، فبعد ان شن هجومه الاخير على فصائل ثوارنا في جبال عجلون وجرش بدا النظام الرجعي العميل يلعب الدور الذي لعبته اسرائيل : سوط الامبريالية في المنطقة .

في الوقت الذي كانت الانظمة البرجوازية الصغيرة تتلكا وتتردد صامتة امام ما يجري في الاردن من مجازر ضد حركة المقاومة الفلسطينية كان النظام العميل في الاردن يعد نفسه للعب الدور الذي لعبته وتلعبه اسرائيل ضد حركة التحرر العربي ، اذ شرع بلوح بالسوط في وجه سوريا ، وهذا التلويح بالسوط ليس نتيجة لاحساس الاردن بان قواه تكفي « لردع » سوريا اذا فكرت بالرد او التدخل ولكن هذا الاحساس هو نتيجة دراسة دقيقة اطعمت فيها المعلومات لاجهزة وكالة المخابرات الاميركية الالكترونية اعتمدت على وزن احتمالات الرد العربي على تقهقص الاردن لهذا الدور . وفي نفس الوقت الذي كانت يد النظام ترفرف بالسوط في وجه سوريا والعمل الفدائي كانت يد النظام الاخرى تمتد لمصالي السادات وفيصل بورقة عمل جديدة هدفها « تنظيم العلاقات بين النظام والعمل الفدائي الشريف » !

ان الاسهاب في التمادي في استعمال السوط لم يكن صدفة ، فالنظام العميل متاكد ان التناقض بينه وبين انظمة البرجوازية الصغيرة هو تناقض ثانوي طالما ان الطرفين يلتقيان على ارض واحدة اسمها « الحل السلمي » ، والنظام العميل متاكد ان استعمال السوط لن يؤدي الى اكثر من ردود فعل محدودة ، لن تصل الى حد الصدام الواسع معه ، والنظام العميل يعلم تماما ـ كما كانت تعلم اسرائيل ـ ان ردة الفعل ستكون موجهة ضد العمل الفدائي وليس ضده هو ، فاسرائيل عندما اغارت على قرية السموع كانت تعلم ان قوات الاردن ستقتص من جماهير الاردن البطلة وليس من « جيش الدفاع الاسرائيلي » واسرائيل تعلم ان غاراتها على جنوب لبنان ستؤدي الى دفع النظام لاتخاذ اجراءات ضد العمل الفدائي وليس ضد اسرائيل . وهكذا فان تمادي النظام الاردني لم ينعكس لدى انظمة البورجوازيه الصغيرة الا بالتزام الصمت ، ثم تجاوز ذلك الصمت الى هجوم شنته على يسار حركة المقاومة في الوقت الذي كالت فيه المديح للرجعية العربية !

بهذا استطاعت الامبريالية دفع الانظمة البرجوازية الصغيرة العسكرية لاتخاذ موقف هو في حقيقته معاد للثورة الفلسطينية ، مستعملة النظام العميل في الاردن كاداة تنفيذ .

وهذا التطور هو الشكل الذي تتخذه مخططات الامبريالية في استراتيجيتها المستحدثة التي تهدف الى تعميم تجربة « فيتنمة » الحرب .

وبهذا يكون النظام العميل قد قطع اشواطا على طريق تحقيق استراتيجية العدو الاسرائيلي والامبريالي التي تقع في صلب مصلحته الاولى : محاولة تصفية حركة المقاومة مع ابقاء ردود الفعل ضده في حدها الادنى وعكس ردود الفعل العنيفة ضد العمل الفدائي في اقسى اشكالها .

ولكن ماذا بالنسبة للهدف الثاني: فك الضائقة الاقتصادية ؟

ان « المفتاح السحري » لفك هذه الازمة هو نفس المفتاح الذي استعمله النظام الحقيقي هدفه الاول : السوط .

في الوقت الذي لوحت الرجعية الاردنية بالسوط امتدت يدها « بورقة العمل » الجديدة تحت عنوان : تنظيم العلاقات بين النظام وبين العمل الفدائي « الشريف » . ولكن الحقيقة هي عنوان هذه الورقة يجب ان يكون : تصفية المقاومة سياسيا واحتوائها من خلال الرضى العربي الرسمي وبالتالي حل الازمة المالية التي يعاني منها الاردن ، الى جانب مكاسب اخرى يسعى النظام للحصول عليها من خلال هذه الورقة وهذا العنوان .

فما هي ورقة العمل الجديدة ؟

انها في الحقيقة الورقة ذاتها التي طالما امتدت يد النظام بها .

ورقة تصفية العمل الفدائي

قبل ان نستعرض شروط النظام الرجعي للموافقة على قبول حركة المقاومة الفلسطينية لورقة العمل هذه لنرى ، من باب الافتراض للمناقشة ليس الا ، ما هو « المكسب » الذي ستحصل عليه حركة المقاومة من هذه الورقة .

انه نفس « المكسب » الذي طالما رفضته حركة المقاومة انه « المكسب » الذي سيضع رقبة حركة المقاومة تحت مقصلة النظام الرجعي العميل انه « المكسب » الذي سيمول حركة المقاومة من امكانيات ثورة جماهيرية تقاتل من اجل التحرير الى مجرد اعداد في الجيش الاردني توافق على الحل السلمي وانهاء القضية الفلسطينية والاعتراف باسرائيل كما يريد لها النظام الرجعي العميل في الاردن .

هذا هو « المكسب » .

ولكن ما هي شروط النظام العميل من اجل اعطاء حتى هذا « المكسب » لحركة المقاومة الفلسطينية ؟

● الشرط الاول ـ التنازل للنظام الرجعي العميل عن حق تمثيل الشعب الفلسطيني .اي اعتراف حركة المقاومة الفلسطينية بان النظام العميل هو الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني وبالتالي فللنظام الحق بان يوقع وليقة الاعتراف باسرائيل باسم شعب فلسطين وهو « التنازل » الذي لم يستطع تحقيقه بقوة القمع المسلح .

● الشرط الثاني ـ التنازل للنظام العميل عن جماهيرنا .

فالنظام العميل يشترط على حركة المقاومة ان تتنازل عن جماهيرها وان تبتعد عنها كي يعطيها بدوره « المكسب » المذكور !

● الشرط الثالث : ان تستانف الدول العربية التي قطعت معونتها المالية للاردن . الدفع حالا .

● الشرط الرابع : ان يقضى على الفدائيين « غير الشرفاء » الموجودين في صفوف حركة المقاومة ويقصد النظام بذلك تصفية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بصورة خاصة ، وكل الانطلاقات اليسارية المتواجدة في صفوف المقاومة.

سلم النظام هذه « الورقة » لعمر السقاف وحسن صبري الخولي بيد ورفع بسوطه باليد الاخرى . وخرج السقاف والخولي مسرورين بما حققاه واسرعا ليحاولا اقناع حركة المقاومة بقبول هذا « المكسب » الذي استخلصاه من برائن النظام في الاردن !

آن لنا أن نتعظ

والان اين تقف اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير من هذا العرض « السخي » ؟

انه من الضروري انتهاز هذه الفرصة ، بالنسبة للجنة التنفيذية ، لمنظمة التحرير الفلسطينية ليس لرفض ورقة العمل هذه رفضا فاضحا فحسب ، بل لشن حملة من التوعية تزيد في توضيح مخططات النظام العميل واهدافه من مثل هذه الالاعيب ، وبالتالي تعميق الخط النضالي الحاسم الذي يكافح لاسقاط النظام .

بذلك تكون قد عبرت عن رغبة الجماهير العربية ووقفت موقفا تاريخيا ترجمته العملية النضال ضد النظام الرجعي العميل .

ان المهمتين الاساسيتين اللتين تواجههما الثورة هما :

● ١ ـ القتال ضد اسرائيل تحت شعار تحرير فلسطين والصيغة التنظيمية للتصدي لهذه المهمة هي الجبهة الوطنية التي تضم فصائل حركة المقاومة التي يمكن ان نقول ان اللجنة التنفيذية لحركة المقاومة من خلال تطوير جذري لبرنامجها وعلاقاتها والسائرة على اساس برنامج سياسي وتنظيمي ثوري يمكن ان تتبلور كتعبير عن مثل تلك الجبهة .

● ٢ ـ القتال ضد النظام الرجعي العميل في الاردن من اجل اسقاطه وتحرير جماهير الاردن من الرجعية المستغلة ، والصيغة التنظيمية للتصدي لهذه المهمة هي جبهة وطنية اردنية فلسطينية تشكل من فصائل الحركة الثورية والوطنية الاردنية ذات الموقف المشترك المعادي للنظام الرجعي العميل في الاردن والمعتمدة على جماهير العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة .

ان العلاقة الاستراتيجية بين هاتين الجبهتين هي علاقة وحدة اداة الثورة الفلسطينية الاردنية .

أخبار مهمة

نقلت اذاعة كولومبيا منذ اسبوعين خبرا مفاده ان سلاح الطيران الاميركي قد ارسل مئتي طائرة مقاتلة للاردن لتكون على اهبة الاستعداد للتصدي لاي «تدخل اجنبي» في شؤون الاردن ، والمقصود بذلك اي « تدخل عربي » .

وكان مهندسون من الولايات المتحدة الاميركية تابعون لسلاح الجو الاميركي قد بدأوا ببناء محطة رادار بعد ايلول في المنطقة الصحراوية المسماة «التنفوه» وهي متاخمة للحدود السورية العراقية مع الاردن ، ومن الطبيعي ان استعمال هذه المحطة لن يكون ضد التدخل الاسرائيلي بل ضد « التدخل الاجنبي » .. العربي .

***

قال المسؤول عن تنفيذ مشروع محطة الرادار في الاشنفور فاحكا وهو ينهي كاس الويسكي السادس في بار فندق الاردن (انتركونتنتال) : « انا نقوم بحفر ابار مياه في منطقة « الاشنفور » من اجل تزويد القوات السورية والعراقية التي متاجهم الاردن ، بمياه الشرب النظيفة ! »

وضحك الجالسون المجبون بالضابط الاميركي الذي لوحت الشمس وجهه لانهم ، اضافة الى انهم معجبون بالمواعيد الاميركية التي تقال الجماهير ، وتبنى للرجعية ، وتخطط لضرب حركة التحرر العربي، فهم اذكياء وفهموا « على الطاير» ان « روي هيكس » وهو اسم الضابط الخبير في شؤون الرادار ، كان يقصد بالابار محطة الرادار التي تشكل عمليا قاعدة رجعية ـ اميركية لحماية «الكيان الاردني» من جهة معاكسة لاسرائيل !

***

■ شهدت قبرص في الاونة الاخيرة موجة من النشاط الدبلوماسي «الباردنجي» الذي يهدف لتسوية « الخلاف » بين الدول العربية واسرائيل .

ونقلت مصادر وليقة المعرفة ان على ارض الجزيرة الحارة اجتمع ضباط مصريون مع ضباط تابعين للامم المتحدة.

وقالت هذه المصادر ان الهدف من هذا اللقاء كان ترتيب زيارة يقوم بها الرئيس السادات لجزيرة بريوني في يوغوسلافيا حيث سيلتقي بالرئيس تيتو الذي يبذل وساطته من اجل احلال « السلام في الشرق الاوسط » .

ولقد اشرف على مباحثات الضابطين في قبرص الدبلوماسي المصري الزيات.